دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
**ARCIF** Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
**AIF** Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

# مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب المريني
## من خلال المصادر العربية

**أ.د. نور الدين أمعيط**
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة شعيب الدكالي
الجديدة – المملكة المغربية

## مُلَخّص

*تسلط صفحات الدراسة الضوء على جملة منتخبة من مصطلحات العتاد الحربي المريني الواردة في المصادر العربية، وقد صنفناها بحسب وظائفها إلى مجموعتين، تناولنا في المجموعة الأولى مصطلحات تخص آلات الحصار ولباس الجند والشارات العسكرية، فيما تناولنا في المجموعة الثانية مصطلحات تخص مكونات الأسطول الحربي للدولة المرينية، مع توضيح دلالة كل مصطلح من هذه المصطلحات، وذلك بالاستناد إلى جملة من القرائن والإثباتات التي تحيل عليها وترشد في فهمها، كتحديد وظائف وأنواع هذه الأسلحة واهتمام أهل المغرب والأندلس بصناعتها والأدوار التي لعبتها لبناء الدولة المغربية الوسيطية. وصفوة القول إن المصطلحات الخاصة بالعتاد الحربي زمن بني مرين، قد جاءت وافرة ضمن المصادر، وهو ما يوحي بقوة وتنوع العتاد العسكري للدولة المرينية التي أولت عناية فائقة لصناعة معظم ما يلزمها لحشود الجند، من خلال إنشاء "دور الصنعة" أو "دور الإنشاء" المختصة في صناعة قطع الأسطول الحربي الذي صار يضاهي أسطول النصارى في الحوض المتوسطي، وانتشرت قطعه بمختلف الثغور المغربية، خاصة سبتة وطنجة وسلا ووهران وبجاية وقابس.*

## بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ٢٢ يناير ٢٠٢٤

## كلمات مفتاحية:

العتاد الحربي؛ الأسلحة؛ الجند؛ المغرب المريني؛ المصادر العربية

## معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2024.354593

## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نور الدين أمعيط، "مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب المريني من خلال المصادر العربية".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الثالث والستون؛ مارس ٢٠٢٤. ص ٩٦ – ١٠٨.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
**Corresponding author**: nour7404@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةُ

على الرغم من التحولات العسكرية التي حصلت بالحوض المتوسطي، بفعل تراجع قوة الموحدين بعد هزيمتهم في معركة العقاب بالأندلس سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، فإن الدولة المرينية سرعان ما أخذت على عاتقها، مهمة إعادة تحديث وهيكلة الجيش المغربي وتطويره، ليس بقصد ردع الهجمات المسيحية فحسب، ولكن لتأمين الطرق التجارية وتوحيد الصف وتثبيت الأمن الداخلي، فسخرت لذلك عتادًا حربيًا متنوعًا سواء بالمغرب، أو بالأندلس وإفريقية، وتجمعت لديها ترسانة مهمة من الأسلحة، شكلت مظهرًا من مظاهر القوة المغربية داخل حوض البحر المتوسط، لا سيما زمن أبي الحسن وابنه أبي عنان.

وبقدر ما تنوع العتاد الحربي واختلف بحسب المواجهات والمعارك التي خاضتها الدولة المرينية في حروبها، بقدر ما تنوعت معه المصطلحات الدالة عليه في المصادر العربية الوسيطية التي استعملت مجموعة مهمة من مصطلحات الأسلحة ومستلزمات الجند، فورد منها ما يدل على الأسلحة بأنواعها، وزي المقاتلين، وشارات الجند، فضلاً عن مصطلحات دالة عن مكونات الأسطول الحربي.

وسننطلق في هذه الدراسة، من جملة من المصادر العربية التي دونت زمن الدولة المرينية أو بعدها، وهي مصادر استعملت مصطلحات خاصةً لأنواع الأسلحة المستعملة لدى بني مرين، ومنها الذخيرة السنية لابن أبي زرع الفاسي (ت. ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) وكتاب مسالك الأبصار للعمري(ت. ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، وكتاب فيض العباب لابن الحاج النميري (ت. بعد سنة ٧٧٤هـ/١٣٣٤م)، و كتاب المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق التلمساني (ت.٧٨١هـ/١٣٨١م)، وكتاب العبر لابن خلدون (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٨م) فضلاً عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م) ووصف إفريقيا للحسن الوزان (ت. حوالي٩٥٧هـ/١٥٥٠م)، وغيرها من المصنفات التي قدمت مادة جيدة عن الجوانب العسكرية والعتاد الحربي في العصر المريني.

وانطلاقًا مما تجمع من معطيات وإشارات مصدرية، فقد سعت هذه الدراسة إلى تصنيف مصطلحات الأسلحة بحسب وظائفها، مع توضيح دلالتها لرفع الالتباس وتقريب الفهم لعموم الباحثين الذين غالبًا ما يصطدمون بمشاكل لا حصر لها كلما تعلق الأمر بتحديد دلالات الألفاظ والمصطلحات المستعملة للتعبير عن أنواع العتاد والأسلحة المعتمدة خلال العصر الوسيط، وقد استندنا في تحديد دلالة هذه المصطلحات إلى جملة من القرائن والإثباتات المصدرية التي تعين على التعريف بها وتحديد دلالتها، في انسجام تام مع الرؤية الخلدونية التي تلخص أسباب النصر والغلبة في قوة التنظيم ووفرة الجند وكمال الأسلحة.

## أولاً: مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب المريني

لا شك أن العتاد الحربي وتوفر الأسلحة، ظل –ولا يزال–من العوامل الرئيسة التي تساعد الجند على اقتحام المعارك دون خوف أو وجل، بل يكون أحيانًا عاملاً حاسمًا في صنع الانتصار وحسم نتائج المعارك والحروب[١] والتمهيد أحيانًا لبناء دولة على أنقاض أخرى. وفيما جعلت بعض المصنفات خير الأسلحة "ما خف حمله على الأعضاء ودفع عنها الأذى"[٢]، جعل منها ابن خلدون أحد أسباب النصر والغلبة ملخصًا ذلك في أربعة عناصر وهي "الجيوش ووفورها، وكمال الأسلحة واستجادتها، وكثرة الشجعان، وترتيب المصاف"[٣]، فجعل للسلاح المرتبة الثانية بعد وفرة الجيش، ومن ثمة اكتسى العتاد الحربي أهمية قصوى لصاحب الدولة وجنده، يستعين به على أمره، وتكون الحاجة ماسة إليه "عندما تكون الدولة في بداية عهدها وتمهيد أمرها"، على حد قول صاحب المقدمة[٤].

والواقع أن الأسلحة التي استعملها الجيش المريني في حملاته العسكرية، ومنها حملته على قسنطينة وبلاد الزاب، قد عرفت تنوعًا كبيرًا، كما عكست ضخامة الجند المشارك، وتبعًا لذلك، جاءت مصطلحات الأسلحة المستعملة متنوعة ضمن المصادر العربية المذكورة، وقد شملت مصطلحات أسلحة الرماية الخفيفة والطعن، ومصطلحات آلات الحصار وهدم الأسوار، وأخرى تهم

زي الجند ومستلزمات الفارس، فضلاً عن مصطلحات تدل على مكونات الأسطول الحربي ولوازم الجند البحري.

١/١-مصطلحات أسلحة الطعن والرماية الخفيفة (السيوف – القسي – النبال –الرماح)

لعل من أهم مصطلحات أسلحة الطعن التي تردد ذكرها في المصادر العربية، هناك السيف، جمع سيوف، وقد كان على رأس الأسلحة المعتمدة لدى الجند خلال العصر الوسيط، وبالنظر إلى أهمية السيوف جعلها ابن خلدون[٥] على رأس الآلات التي يستعين بها صاحب الدولة على أمره، إلى جانب القلم. وإن كان يقصد بالسيف في مقدمته جميع أنواع الأسلحة، فهي إشارة لأهمية هذا النوع من السلاح ومحوريته ضمن باقي أنواع العتاد الحربي المستعمل خلال الفترة الوسيطية.

ومن جهته، تحدث النميري عن السيوف كأحد أنواع الأسلحة الرئيسية لدى جيش بني مرين، فأمعن في التنويه بسيوف العساكر المرينية، وأورد أن كل "سيف منها يطلب الثأر(...)، محمود الجولة، موهوب الصولة، يعجز المتنبي عن وصفه "[٦]. كما ذكر بعض أنواع السيوف ومنها الهندية أو الهنداوية[٧] التي كان يتم التباهي بها، فضلاً عن الإفرنجية[٨] والبردالية[٩] وغيرها من الأنواع التي استعملها الجند المريني، سواء كانت محلية الصنع أو مستوردة من الأندلس وبلاد المشرق، وقد صنفت بحسب جودتها ومكان صناعتها وشكل مقابضها[١٠].

وفضلاً عن السيوف، استعملت المصادر مصطلح القسي، جمع قوس، وهي آلة حربية على هيئة هلال، ترمى بها السهام، وكانت على نوعين، قوس اليد وهي العربية، ثم قوس الرجل وهي الإفرنجية، ويرى ابن هذيل أن "القوس العربية أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مئونة"[١١]، في حين تظل "الإفرنجية أنسب للراجل لأنها أبلغ وأكثر معونة، ولاسيما في الحصار والمراكب البحرية (...) وهي خاصة بأهل الأندلس، فيها يتنافسون، وعليها يعتمدون فرسانًا ورجالاً."[١٢]

وبالفعل، فقد ميزت القسي الإفرنجية فرقة الأندلسيين من الجيش العناني الذين كانوا يرمون بقوس الرجل[١٣] وبلغ عددهم أزيد من ألفي فارس[١٤]. وقد فصلت بعض المصادر في طريقة استعمالها وقت القتال، إذ يطالعنا صاحب البدائع والأسرار عن طريقة الرمي بها، فقال "إذا رميت الفارس، إن كان مقبلا إليك، فاطلب قربوس سرجه، فإن طاش السهم وقع في صدره، أو في وجهه، وإن قصر وقع في بطنه أو في دابته، وإن كان هاربا أمامك وأردت رميه فاطلب القربوس، فإن طاش السهم وقع في ظهره (...)"[١٥]. ويبدو أن الجند المريني كان بارعا في الرمي بالقسي، لا سيما العناصر المتمرسة منه والمنتمية لمدن الثغور، كأهل سبتة الذين" طبعوا عليه [الرمي بالقسي]، فلا تلفي منهم شريفًا ولا مشروفا، ولا كبيرا ولا صغيرا، إلا وله بصر بالرمي وتقدم فيه، ومعظم رميهم بالقوس العقارة"[١٦].

ومن جهته أشار ابن الحاج النميري إلى مصطلح النبال، جمع نبلة، للدلالة على أحد أصناف أسلحة الرمي والطعن التي استعملها الجند العناني[١٧]، وقد وصفتها بعض المصادر "بالمنايا [التي قد] تخطئ وتصيب"[١٨]. ومعلوم أن المرينيين قد أنشأوا على المدن الساحلية الأبراج أو المرامي لتكون قاعدة للرماة[١٩] فكانت سبتة وحدها تتوفر على "أربعة وأربعين مرمى بالميناء"[٢٠] مقسمة على تسع جلسات.

ومن أسلحة الطعن الخفيفة أيضًا، استعملت المصادر مصطلح الرماح، جمع رمح، وهو سلاح رئيسي استعمله الجند المريني، كان عبارة عن قضيب طويل في رأسه سنان أو حربة للطعن، وقد صنفها العمري إلى نوعين، رماح طوال وقصار[٢١]، وقد كانت عبارة عن عصا خشبية أو معدنية في نهايتها قطعة معدنية مدببة الشكل، وعادة ما تكون ذات رأس معدني مثلث، وهي رماح مصممة للقتال والطعن، وأخرى مصممة للرمي. وتذكر المصادر أن خير الرماح ما خف حمله، إذ "ينبغي للفارس أن يخفف رمحه ما قدر، فإنه على الخفيف أقوى"[٢٢]، وأحسنها "المارن المثقف، المقوم المخطف، الذي إذا هززته لم يتعطف، وإذا طعنت به لم يتقصف"[٢٣]. وقد شكلت الرماح إحدى وسائل القتال الأساسية لدى الجند المريني[٢٤].

٢/١-مصطلحات آلات الحصار (المنجنيقات- العرادات- الدبابات- الات الحصار)

امتازت الجيوش المرينية بالتفوق في فن الحصار، ومقدرتها على اقتحام المدن المنيعة الأسوار، ولاغرو فقد راكمت التجربتين المرابطية والموحدية في هذا المجال، فكانت أمنع الأسوار تنهار تحت ضربات الآلات المدمرة، ومنها ما المنجنيقات التي اصطلح عليها ابن الحاج "آلات الحصار"[٢٥] أحيانًا، و"الدبابات"[٢٦]، أحيانًا أخرى، وهي آلات للقدف والحصار، برهنت عن فعاليتها، ورجحت تفوق الجيوش المرينية في حوادث كثيرة، لعل أبرزها حصار سجلماسة سنة ٦٧٢هـ وحصار قسنطينة سنة ٧٥٨هـ. فلم تصمد التحصينات المنيعة والأسوار العالية تحت ضربات آلات الحصار المرينية المدمرة.

ويبدو أن مصطلح "الدبابة" بمفهومه العسكري، قد استعمل لأول مرة بالمغرب المريني مع ابن الحاج النميري، فقد سميت ضمن المصادر الموحدية بالآلات الحربية، وهو الأمر الذي أكده الأستاذ محمد المنوني حين أثبت ورود مصطلح "الآلات الحربية أو الدبابات الموحدية، ضمن المصادر، مضيفا أنها بالاسم الأول وردت"[٢٧]. وهو ما قد يوحي بالتطور الذي طرأ على المستوى التقني في هذا النوع من العتاد الحربي المريني. فبعدما كان يصطلح عليها "الآلات الحربية" خلال العصر الموحدي[٢٨]، يبدو أن تبدل تسميتها خلال العصر المريني، كان موازيا لتبدل حصل في تقنية اشتغالها، مع الاحتفاظ بوظيفتها، فصارت تسمى بالدبابات خلال عصر بني مرين.

وفضلاً عن مصطلح المنجنيقات، تشير المصادر إلى استعمال مصطلح العرادات، مفرد عرادة وهي آلة أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد، وقيل هي من التعريد بمعنى العدو، واستخدمت لرمي قدور النفط، وإليها أشار ابن خلدون مستعملا ذات المصطلح، في معرض حديثه عن حصار يعقوب ابن عبد الحق المريني لمدينة سجلماسة سنة ٦٧٢هـ، حين قال "ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد"[٢٩]. وذلك بعد أن دام الحصار حولاً كاملاً "إلى أن هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف"[٣٠].

وقد سمى النميري هذا النوع من العتاد الحربي بـ "آلات الحصار الثقال"[٣١] أحيانًا، و"بالآلات"[٣٢] دون إضافة أحيانًا أخرى، فجعل منها أداة "لقهر شيع الضلال"[٣٣]، كما سماها بـ "الدبابات التي تيسر من فتح المدينة كل مرام"[٣٤].

وإلى جانب وسائل الحصار المذكورة، استعمل الجيش المريني أسلحة أخرى من قبيل الحجارة التي كانت تقذف في المجانيق واستعملت في حصار أبي عنان لقسنطينة، فقد رمى أهلها "بالحجارة (...) وألقى عليهم أرواق الحصار"[٣٥]، والسلالم التي كانت تمكن من تسلق أعلى الأسوار[٣٦]. كما استعملت المعاول في هذا الحصار "فكادت أن تهطع لتخليل قوى الأسوار وتفريق ما اتصل من أعضائها البادية للأبصار"[٣٧]. فضلاً عن الفؤوس والمساحي التي وظفت في "تخريب الديار [حين أقدم أبو عنان] (...) على قسنطينة ليتركها عبرة للمعتبرين"[٣٨]. ويذكر النميري أن معاول الجيش العناني قد حطمت القصر الذي بناه أحد قادة قبائل رياح حين خرب "حتى لصقت أعاليه بالأرض"[٣٩] .

وواضح أن المرينيين، لم يقتصروا على الأسلحة وآلات الحصار القديمة التي سادت على عهد المصامدة، بل طوروا ما وصلت إليه خبرة الموحدين[٤٠]، واستعملوا آلات قاذفة بعد تعديلها، لا تقذف بالحجارة والكرات الحديدية الملتهبة، فحسب، بل تستعمل الأنفاط والبارود، وهنا مكمن الجدة في السلاح المريني. فهذه الآلات التي يصحبها ذوي قوي، كانت تشبه المدافع التقليدية، قد وصفها النميري بقوله "آلات الحصار(...) مجاهدات (...) صوتهن كالرعود"[٤١].

وإذا كانت مسألة استعمال المغاربة للبارود زمن الموحدين، أمر مشكوك في صحته لغياب نصوص صريحة تثبت ذلك، فإن استعمال هذا السلاح من قبل الدولة المرينية، أمر لا يرقى إليه الشك قيد أنملة، ولا تعوزنا النصوص الدالة على ذلك، فقد ذكر ابن خلدون عدة ألفاظ ومصطلحات دالة في هذا الشأن من قبيل "البارود" و"هندام النفط" و"النار الموقدة"، في سياق حديثه عن حصار يعقوب بن عبد الحق لسجلماسة سنة ٦٧٢هـ، حين "نصب عليها آلات الحصار من المجانيق و

العرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة ترد الأفعال إلى قدرة باريها"[٤٢]. ولعل في استعمال ابن خلدون لمثل هذه الألفاظ والمصطلحات، ما يؤكد حقيقة استعمال الجند المريني للسلاح الناري، وهو ما أشار إليه الناصري أيضًا، معلقًا على نص ابن خلدون بقوله إن الأمر فيه "فائدة وأن البارود كان موجودًا في ذلك التاريخ"[٤٣].

وأثناء حصار أبي عنان لقسنطينة، يبدو مؤكدا أنه وظف سلاح البارود بأن "أرسل عليهم أنفاطا يتطاير شرارها(...) ويحل من أسوارهم محل نيران (...) ويخلع قلوبهم بأصوات لا يطيقها خروق المسامع"[٤٤]. أما الأسطول، فقد أطلقت أجفانه "أنفاطها(...) منذرة السامعين مالئة بألهوبها مابين الغرب والشرق"[٤٥]على حد قول صاحب فيض العباب.

وانطلاقًا من المصطلحات والالفاظ الواردة لدى كل من ابن خلدون والنميري من قبيل" الأنفاط" و"النيران" و"الالهوب"، يتضح جليا توظيف المرينيين المتكرر للسلاح الناري في حروبهم. فكان البارود من الذخيرة التي حرصوا على حفظها داخل صناديق محكمة الإغلاق، لأهمية هذه المادة من جهة، وخطورتها من جهة ثانية، فأثناء العاصفة الرعدية وقدوم السيل الذي حل بالموكب العسكري العناني بجبل بني يمل أثناء العودة "أمر أبو عنان بأن تجمع أحمال الأموال والمتاع، والصناديق المشحونة بالذخائر"[٤٦].

وإذا ثبتت صحة استعمال الغرب الأوربي للبارود لأول مرة في معركة **crecy-en-Pouthien** بين الانجليز بقيادة الملك (إدوارد الثالث) والفرنسيين بقيادة (الملك فيليب السادس) سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وهي الحرب التي مهدت لحروب المئة سنة بين المملكتين الفرنسية والانجليزية، فإن المغرب يكون بذلك، قد سبق أوربا إلى استعمال السلاح الناري بأكثر من سبعة عقود[٤٧].

٣/١-مصطلحات لباس الجند ومستلزمات الفارس والشارات العسكرية

(٣/١) ١-مصطلحات لباس الجند (الدروع- التراس- الدرق- الخوذ -العمائم- البيضات...)

تنوع زي الجند المريني تنوعا كان يضفي على الموكب العسكري تلك الفخامة و الضخامة المقصودة لترهيب الأعداء، فكان زي السلطان وجنده لا يخرج عن هذا المنحى، ويصف لنا العمري لباس الفرسان مستعملا جملة من المصطلحات الخاصة بزي هؤلاء الذين تميزوا ب"عمائم طوال رقاق، قليلة العرض من كتان، ويعمل فوقها إحرامات، يلفونها على أكتافهم من الجباب، ويتقلدون بالسيوف تقليدا بدويا، والأخفاف في أرجلهم(...) والمهاميز[٤٨]، ولهم المضمات وهي المناطق، ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التمييز(...) وتعمل من فضة ومنهم من يعملها ذهبا، ومنها ما يبلغ ألفي مثقال"[٤٩].

وإذا كان العمري قد وصف بعض مكونات زي الفرسان من الجيش المريني، مستعملا لذلك جملة من المصطلحات كالإحرامات التي يلفها الفارس على الأكتاف، والأخفاف والمهاميز والمضمات أو المناطق، فإن ابن مرزوق قد أجاد في وصف زي السلطان المريني زمن النزال معتمدًا مجموعة من المصطلحات الخاصة بلباس الملوك وقت الحروب، فيذكر أن أبا الحسن، كان "يختص بلبس البرنس الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه"[٥٠]. وكان "يلبس خاتم الذهب على عادة الملوك، وبدله بخاتم فضة، (...) وفي يده السكين التي لا يفارقها"[٥١]. ويضيف الحسن الوزان عن لباس السلطان في الحروب، فيذكر أن خادما يتقدم السلطان، ليحمل قباقبه، وهي "أحذية من خشب مزدانة بتطريزات متناهية الجمال تعد من مظاهر الأبهة والفخامة"[٥٢]. وقد يلبس "الملك في هذه المناسبة لباسا متواضعا لائقا، فالذي لا يعرف الملك، لا يصدق أنه هو نفسه، لأن خدامه المسلحين يلبسون لباسا أفخر من لباسه، مصنوعا من أقمشة ثمينة مزخرفة"[٥٣].

وأثناء الحركة إلى قسنطينة، وصف ابن الحاج النميري لباس أبي عنان بمصطلحات خاصة، فقد خرج هذا السلطان "وقد لبس ملوطة[٥٤] بيضاء بالعمل

الشواشي (...) ولبس فوقها مصفحًا ملوكيًا عظم قدرًا(...) واتخذ المضمة الشريفة نهرًا، وتقلد السيف (...) وجعل على رأسه بيضة هندية سامية مصقولة"[٥٥]. "ولبس [أبو عنان] على المصفح، غفارة حمراء(...) ثم قرعت الطبول، ولاحت البوقات والأنفار في موكب النصر"[٥٦].

أما قواد الجيش، فقد كان لهم لباس خاص "فلسائر القواد زي تميزوا به في العساكر(...) وعلى جميع هؤلاء الأصناف أنواع الأقبية التي حسن لها التمييز، (...) وفوقها المصفحات من الحلل والأنزاق والأثواب البديعة المجلوبة من أرض الشام وأرض العراق، منسوقة بها المسامير المذهبة (...) أما القلانس والشواشي المذهبة والمفضضة فتلك التي باهت الشموس (...) واختص خيول الأجناد الأندلسيين بالبراقع البديعة الجمال (...) أما جموع الأندلسيين المغاوريين المرتجلة، فقد لبسوا الأقبية المختلفة الألوان وجعلوا فوق رؤوسهم الرتافيل التي هي أبدع من نور البستان (...) والعدويون اللابسون لأحسن الأثواب (...) وبأيديهم القضبان"[٥٧].

ويبدو واضحًا من خلال مصطلحات زي الجند الواردة ضمن هذا النص، التنوع الكبير الذي طبع لباس الجند المريني، وهو لباس منه ما كان محلي الصنعة، ومنه المستورد من بلاد الشام والعراق والهند، مما يتضح معه حرص المرينيين واهتمامهم البالغ بتوفير عتاد الجند، مهما بلغت تكاليف الاستيراد.

ومن المفيد الإشارة إلى بعض مصطلحات الأسلحة الواقية التي أوردتها المصادر، ومنها "الدروع"، وتُعَدّ ضمن اللباس العسكري المعتمد من قبل الجند المريني، وهي قطع من جلود أو صفائح من حديد كانت تغطي جسم المحارب من العنق إلى الركبتين اتقاء لضربات العدو، وتشكل أداة لحماية الفارس أيضًا من ضربات السيوف والرماح. ويبدو أن الدروع المرينية كانت حديدية الصنع، وعن ذلك يخبرنا النميري حين أمر أبو عنان فرسانه أثناء حملته العسكرية، "أن لا يركب أحد في غد إلا وهو مظاهر بين دروعه، شاك في الحديد الذي يحصن لابسه بأسه"[٥٨]، وذكر من الدروع الداودية التي شكلت "عبرة لأولي الاعتبار ونزهة للنظار"[٥٩]، علمًا أن الدروع اختلفت من حيث شكلها وحجمها ومواد صنعها، فإذا "كانت واسعة فهي زغفة، وإن كانت طويلة فهي ذائل، فإذا كانت منسوجة فهي جدلاء ومجدولة، وإذا كانت صدرا بغير ظهر، فهي جوشن"[٦٠].

ومن مصطلحات الأسلحة الواقية، ذكرت المصادر، مصطلح التراس، جمع الترس، وقد كان بعضها من حديد، وبعضها الآخر من الجلود، فأما الجلدية "فهي درق (...) وتصنع من جلود البقر، كما تصنع من جلود الوحش، ومن جلود اللمط وهي أحسنها وأمنعها"[٦١]، ويعرف صاحب حلية الفرسان اللمط بأنه "حيوان يعمر الصحاري ويصنع من جلده الدرق"[٦٢]، ومن علامات جودة الدرق اللمطية، أنها إذا "أصيبت بضربة سيف أو رمح، انغلقت الضربة والتحمت من وقتها واختفت فلا تظهر"[٦٣].

وإذا كانت مواد صنع الدرق من الجلود في الغالب، فإن المصادر تكاد تتفق على جودة وصلابة الدرق اللمطية، وعنها يقول صاحب تحفة الألباب "وعندهم (أهل السودان) حيوان يقال له اللمط مثل الثور الكبير له قرنان كالرماح، تطول بطول بدنه ممدودة على ظهره، إن طعن بها حيوان أهلكه في الحال، يتخذ من جلده تراس يقال لها الدرق اللمطية، لا تنفذها النشاب، ولا تؤثر فيها السيوف، وهي من أحسن التراس"[٦٤].

وعلاوة عن الدروع والتراس، يذكر النميري أسلحة وقائية أخرى من قبيل العمائم، فضلاً عن البيضات[٦٥] وهي الخوذة التي توضع على رأس المحارب والمصنوعة من حديد، وللتلطيف من صلابتها على رأس حاملها، فقد كانت تحشى بمواد رخوة لمنع تأثير الضرب القوي على رأس المحارب.

ومما سلف من مصطلحات، يبدو أن المرينيين، قد أبدعوا على مستوى الزي العسكري والأسلحة الواقية، واجتهدوا في توفيرها لأجنادهم، مع الحرص على طابع الاحتفالية والفخامة بغية ترهيب العدو من جهة، وإضفاء نوع من الهبة على الدولة ومواكبها العسكرية من جهة ثانية، وهو ما صرح به النميري حين ذكر أن أبا عنان كان يؤكد على "جزيلة ارتياده نازعا إلى التي تظهر فخامة الملك"[٦٦].

(٣/١) ٢-مصطلحات تخص مستلزمات الفارس (الفرس- السروج- الألجم- المهاميز- المضمات)

لعل من أهم مستلزمات الفارس، الفرس الذي شكل أداة فعالة من أدوات العتاد الحربي المريني، ولم يفت النميري وصف أنواع الخيول التي شاركت في الحملة العنانية، وصفا بليغا فذكر"منها الأدهم ومنها الأشقر الذي يشبه صهيله الرعد، ومنها الأحمر والأصفر ومنه الأشهب الطويل الذيل، ومنها كميت ظهره قصير وعنقه طويل وحوافره صلبة وكشحه[٦٧] ضامر(...) وصدره واسع وعرفه طويل"[٦٨].

وإلى جانب الخيول، عمل المرينيون على توفير مستلزمات الفرسان، وفي هذا السياق، استعملت المصادر جملة من المصطلحات، لعل أبرزها "السروج" و "الألجم"، و"الخفاف" التي تعرف بمصطلح "الأنمقة" ويشدون "المهاميز"[٦٩] فوقها. وقد حرص المرينيون على توفيرها مجانا لجندهم جريا على عادة الموحدين من قبلهم، فقد زود أبو عنان جنده المشارك في الحركة من "وجوه القبائل وزعماء الفصائل وأشراف العرب وأمراء هلال ابن عامر وطوائف من لفيف الأعراب (...) بالكسوات، والسيوف المحلاة باللجين والعقيان، إلى غير ذلك من السروج المذهبة ركبها أحسن التذهيب، واللجم العجيبة التي رتبت صنائعها أحسن الترتيب"[٧٠].

وفيما أعدت للخيول غير بعيد عن المعسكر، الإصطبلات التي تبيت فيها، وهي "مخابئ تصطف فيها الخيل بنظام، بعضها بجوار بعض"[٧١]، أسندت مهمة العناية بها وبباقي وسائل النقل العسكري من البغال والجمال، لشخص يدعى في اصطلاح المغاربة بـ"العلاف"[٧٢]، ويسهر على توفير "ما يلزم للدواب ولجميع المستخدمين المكلفين بشؤونها"[٧٣]، وهو ما يبين الاهتمام الذي حظيت به جميع أصناف الجند المريني سواء كانوا راجلين أو فرسان، وذلك بتوفير كل مستلزمات العتاد الحربي من سلاح و خيول وعلوفة ومؤونة ولباس.

٤/١-مصطلحات تخص الشارات العسكرية (الطبول والرايات والمزامير)

لقد أورد ابن خلدون عدة مصطلحات تدل على الشارات العسكرية في سياق حديثه عن شارات الملك الأساسية، ومنها "اتخاذ الآلة من نشر الألوية وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون"[٧٤]، لذلك فقد شكلت كل من الطبول والرايات والمزامير والأبواق، أهم الشارات العسكرية التي استعملت ضمن العتاد الحربي المريني، ويصف صاحب الحلل الموشية أحد الطبول بقوله: "كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعا منشأ من خشب أخضر اللون مذهب (...) وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع لا ريح فيه"[٧٥]. أما الحسن الوزان فقد أشار أن السلطان، كان له "طبالون كثيرون مزودون بطبول نحاس على شكل جفان عريضة من أعلى ضيقة في أسفل، مع جلد ممدود على أعلاها. ويحمل كل طبل حصان رحل، (...) ويسمع دويها من مسافة بعيدة، فترتجف الخيول والرجال منها، وتقرع بعصب الثور"[٧٦].

كان دق الطبول لا يتم إلا في مناسبات محددة أثناء الحرب أو خروج السلطان في سفر أو مناسبة عيد، وكانت تقتصر على الموكب السلطاني دون غيره من وجهاء الدولة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ولما جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم زناتة، قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان، وحضروها على من سواه من عماله، وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع السلطان في مسيره يسمى الساقة"[٧٧].

ومن جهته استعمل ابن الحاج النميري، مصطلح "الطبول" في صيغة الجمع، للدلالة على كثرتها، منبها أنها كانت "تقرع على طرائق تتهاداها الأسماع (...) وقد ملأت القلوب هيبة وروعا"[٧٨]، وتناط مهمة ضربها بجماعة من الرجال عرفوا بمصطلح "الطبالين" كان لهم قائد خاص يعرف بمصطلح "المزوار"[٧٩] . وفيما صمت النميري عن عدد الطبول التي استعملت في الحركة العنانية لقسنطينة وبلاد الزاب، ذكر ابن خلدون[٨٠]، أن عددها فاق المئة في عهد أبي الحسن ما بين الصغير والكبير، وكان ضربها "محفوظ لأهل بيت خاص بهم من أهل مراكش"[٨١]، مما يوحي بوجود تقنية خاصة بضربها قد تكون موروثة عن العصر الموحدي.

وإلى جانب مصطلح الطبول، أوردت المصادر مصطلحات أخرى، توحي بتعدد شارات الجيش المريني وتنوعها، ومنها "المزامير" و"الأبواق"، وهي آلات اختص

بها قواد الترك، فكان لهؤلاء "مزامير هائلة (...)عرفوا بها"[٨٢]. وكان "النافخون في [هذه] الأبواق، يستعملون لعزف الألحان عند النزول وبسط موائد الملك، أو عند الهجوم في الحرب"[٨٣]، ولم يكن لهم تمويل أو نفقة تذكر من طرف الملك، وإنما كان أهل المدن يتكلفون بذلك، فهم ملزمين "بتقديم عدد منهم كلهم على نفقتهم"[٨٤].

ومن خلال سياق ورود المصطلحات السالفة الذكر، يبدو أن دور الطبول والأبواق والمزامير، كان له بالغ الأثر في نفسية عناصر الجند بتحفيزهم على القتال وإثارة الحماسة في نفوسهم قبل وأثناء الحرب من جهة، وإرهاب العدو من جهة ثانية[٨٥]. وقد اهتم المرينيون بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا حتى إنهم حملوا معهم الجواري على الهوادج ضمن المواكب العسكرية، ورافقوا الشعراء الذين يتغنون بمجد الجند لتشجيعهم على القتال، "إذ يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة (...) ويسمون ذلك الغناء تاصوكايت"[٨٦].

وإلى جانب الطبول، استعمل الجند المريني الأعلام، فكان العلم الأبيض شعار الدولة، ويسمى في المصادر المرينية بالعلم المنصور، فهو "أبيض مكتوب بالذهب نسيجًا من الحرير أي من القرآن بدائر طرته وحوله"[٨٧]، غير أن المصادر لم تفصح عن ماهية الآيات المكتوبة عليه، والراجح أنها آيات كانت تشير في مضمونها إلى التوحيد[٨٨].

وعلاوة على العلم الكبير الذي يتقدم الموكب، اعتمد الجيش المريني عددا مهما من الأعلام "ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير"[٨٩]، ومتعددة الألوان ما بين الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر وغيرها من الألوان المتفرعة منمقة بأنواع التطريز والخطوط[٩٠]. ويقف أصحابها خلف السلطان وحاشيته. وتتزايد أعداد الأعلام إذا علمنا أن لكل قبيلة كان لها علم خاص يميزها وتعرف به[٩١]. ناهيك عن أعلام "أهل الحرف من أرباب الصناعات الموفرة للبضاعات"[٩٢] فلهؤلاء "أعلام فيها صور الآلات التي يستعملونها"[٩٣].

وقد عينت فرقة خاصة ضمن الجيش المريني، عرفت "بحملة الأعلام، يحملونها ملفوفة أثناء السير، إلا واحدًا منهم يحمل علمًا منشورًا مرفوعًا في مقدمة الجيش. ويقوم جميع حملة الأعلام كرواد بالتأكد من خط السير ومشارع الأنهار ومسالك الغابات"[٩٤].فكانت مهمة هؤلاء استطلاعية، تمهد طريق الجند وتأتي بالأخبار بشكل استباقي. ويبدو أن الجيش المريني قد راكم التجربتين المرابطية والموحدية سواء باستعماله للأسلحة المتنوعة أو في اتخاذه للزي المتميز وبعض الشارات العسكرية. كما راكم تجربة رائدة في عصره لخوض غمار المعارك البرية أو البحرية، غير أن حروب أبي عنان في البحر اقتضت – ولا شك- تجديد قطع الأسطول الحربي خاصة بعد نكبة أبي الحسن بالقيروان[٩٥]، فاجتهد أبو عنان في تطوير أسطوله الحربي. فماذا عن المصطلحات الدالة على مكونات الأسطول الحربي المريني وخصائصه؟

## ثانيًا: مصطلحات دالة على مكونات الأسطول الحربي المريني

إذا كان الأسطول الحربي من عتاد الجند المريني ومستلزماته، فإن الوقوف على المصطلحات الدالة عل مكوناته، يُعَدّ من الأهمية بمكان، إذ لا يتيح ذلك إمكانية تحديد الدلالة، فحسب، ولكن يكشف عن بعض خصائص مكونات قطع الأسطول الحربي المريني، وإن كانت مسألة تحديد الحمولة والتجهيز والفعالية و المسافة التي تجتازها كل قطعة، يعد من الصعوبة بمكان، لأسباب عديدة، لعل أبرزها شح الإشارات المصدرية من جهة، وصعوبة التمييز بين الأسطول الحربي والتجاري من جهة ثانية[٩٦]، وتتأكد هذه الصعوبة عند التعرض لجملة من المصطلحات، الدالة على مكونات الأسطول الحربي، التي تزخر بها بعض المصادر الوسيطية، من دون تحديد لدلالتها. مما يستلزم ممن الباحث بذل جهدا مضاعفا بقصد حصر القرائن وتحصيل الإشارات التاريخية من أجل صياغة بطاقة هوية لهذه المصطلحات.

ومعلوم أن لفظ الأسطول نفسه، ليس وليد الحقبة الوسيطية، وإنما هو لفظ يوناني قديم (**stolos**)، ويعني طائفة من السفن. وعند العرب ظل لفظ الأسطول، يدل

على السفن الحربية، بعد تعريب الكلمة عن اليونانية (**stolos**)[٩٧] حاملاً دلالة السفن التي كانت تتحرك بالمجاديف، وبعضها بالمجاديف والأشرعة معا[٩٨]. ويبدو أن ابن الحاج النميري لم يخرج عن القاعدة، إذ استعمل بدوره لفظ الأسطول للدلالة على السفن المحاربة، فذكر أن أبا عنان "جعل ينظر إلى أساطيله المظفرة(...) وقد رفعت أعلامها المتهايجة (...) ولبس أهلها الدروع فكأنهم الأسود "[٩٩].

١/٢-مصطلحات مكونات الأسطول الحربي المريني (الاغربة- الطرائد-الشياطي- القوارب...)

وصف النميري مكونات الأسطول المريني في نص بالغ الأهمية، حين قال: "وأقبلت أغربة كأن أعلامها البيض حمائم، وطرائد كان الأبطال فوقها أسود ضراغم، وشياطي تستشيط على أعداء الله غضبا، وسلالير يتخذ سبلها في البحر عجبا، وقوارب تخلص لله بجهادها قربا، ولججوا بها فلكا يكاد يستنزل الأفلاك، وسفائن تحمل على أسرتها الأملاك، وشوانئ لعاجل الأعداء الشواني الهلاك، ومراكب يركبها المناوئ ردعه، وحراقات تحرق قلب المناصب وتتيح صرعه"[١٠٠].

ويبدو من خلال هذا النص، أن مكونات الأسطول الحربي العناني، كانت متنوعة فاقت تسعة أنواع، اختلفت من حيث شكلها ووظيفتها، فمنها الأغربة جمع غراب[١٠١] وهي سفن سوداء اللون مقدمتها على شكل رأس الغراب[١٠٢]، وتستخدم لحمل الغزاة[١٠٣]. ومنها الطرائد، وهي سفن مفتوحة الخلف بأبواب تفتح وتغلق، وكانت معدة لحمل الخيول والغزاة، وأكثر ما كان يحمل فيها أربعون فرسا[١٠٤]، كما عرفت برايتها البيضاء ومثلت سفينة القائد الأعلى للأسطول الحربي المريني. ويذكر النميري أن أبا عنان، أمر أن "تصله طريدة قائد القواد (...) وسرعان ما جاءت الطريدة العظيمة ناشرة لأعلامها البيض"[١٠٥]. وفي سياق آخر، يذكر أن السلطان دعاه للركوب معه على متن "الطريدة الكبيرة"[١٠٦]، مما يوحي بكبر وضخامة حجمها.

أما الشواني، فهي سفن حربية كبيرة أيضًا، كانت تسير بمائة وأربعين مجدافا، وتختص في حمل المقاتلة والجدافون، وقد كانت من أهم قطع الأسطول الحربي المريني وحددت حمولتها من عدد المقاتلة، في مائة وخمسين رجلاً[١٠٧]. ومن مكونات قطع الأسطول الحربي المريني أيضًا، تذكر المصادر الحراريق، وهي مراكب حربية كبيرة، كانت تحمل تجهيزات وعتاد الجيش خاصةً مكاحل البارود والعرادات والمنجنيقات، وترمي النفط المشتعل لتحرق به العدو، ومن ثمة كان اسمها الدال على وظيفتها، ولعل ما أورده دوزي في معجمه، حين ذكر "حراقة نفط" أو "حراقة بارود"[١٠٨]، دليل على ما ذهبنا إليه.

وفيما كانت القراقير (جمع قرقورة) من السفن العظيمة التي اختصت في حمل الزاد ونقل متاع الجند[١٠٩] المريني، كانت القوارب تختص في خدمة الأسطول حتى سميت بعضها بقوارب الخدمة[١١٠]. فضلاً عن أنواع قطع أخرى من الأسطول الحربي، عرفت بمصطلح الشيطي وهو نوع من الغربان المعروف بسرعة تنقله[١١١]. والشلندي[١١٢] المركب المسقف الذي يختص في حمل المقاتلة والسلاح ويعادل من حيث الأهمية الشيني والحراقة.

٢/٢-خصائص الأسطول الحربي من خلال المصطلحات

يتضح من خلال رصد سياق ورود مصطلحات الأسطول الحربي المريني، تعدد مكوناته، فقطعه كانت كثيرة ومتنوعة، كما تميزت بإتقان صنعتها وألوانها السوداء وأشكالها الهلالية، وقد وصفت بأنها "لا تعرف فساد الوضع ولا فساد الاعتبار(...) عقيدة ألوانها الليلية (...) أصيلة النجر(...)، ملاقية الأهوال (...) هلالية الشكل(...)، تروع بالقوس الحوت، وتحمل الأسد ليروع العدو الممقوت"[١١٣].

وإذا كان النميري، قد صمت عن عدد قطع الأسطول العناني، فمن الراجح أنها كانت وافرة جدًا، لا سيما إذا وضعنا في الحسبان عملية التحديث التي شهدها الأسطول الحربي بعد نكبة أسطول أبي الحسن في القيروان سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)[١١٤]، واستعمال المصادر لمصطلح "دار الصنعة" التي اختصت في عملية صناعة قطع الأسطول، ولا تعوزنا القرائن الدالة عن وفرة هذه القطع وتعدد أشكالها وألوانها، فقد أشار النميري إلى ضم أبي عنان، لما وجده ببجاية من السفن "عشية الوصول (...) إليها [حيث قصد] دار صنعتها (...)

فتفقد ما وجد (...) هنالك من الأجفان وأمر بدفعها لقهر أهل البغي والعدوان"[١١٥].

وقد تميز الأسطول العناني بتجهيزه بكل أنواع الأسلحة والعتاد اللازم للقتال، من الطبول والأبواق والأعلام والسيوف والرماح، والمجانيق والعرادات القادفة بالبارود، فضلاً عن أسلحة الطعن والرماية الخفيفة والأسلحة الواقية، ويصف النميري حمولة الأجفان العنانية بقوله "فما شوهد أبدع من تلك الأجفان السعيدة (...) قرعت طبولها (...) وعلت أصوات بوقاتها وأنفارها (...) وأتت من أنفاطها (...) مالئة بألهوبها بين الغرب والشرق"[١١٦].

كانت قطع الأسطول، تبدو في أحسن حلة، مزينة بالأعلام" كالعروس (...) مشحونة بالأبطال (...) من كل رام شهم (...) ومن رامح (...) ومن سائف (...)، قد لبسوا الحديد على الحديد ورفعوا عقائرهم بالتحميد والتمجيد"[١١٧]. أما قيادة الأسطول، فكانت تسند لرجل محنك عارف بخبايا البحر، يعرف بمصطلح "الملند"[١١٨]، ولا غرو فقد احتاط المغاربة منذ أمد بعيد من البحر وأهواله، فضمنوا ذلك ضمن أمثالهم المتواترة[١١٩]. واشتهر من قواد الأسطول المريني في عهد أبي عنان، الفقيه الخطيب أبي العباس ابن الخطيب قائد أسطول طنجة، وأبي القاسم بن بنج قائد أسطول جبل الفتح[١٢٠] وابن الأحمر "قائد القواد البحرية"[١٢١] وغيرهم، حتى إن أصداء قوة الأسطول المريني ومهارة قائديه، بلغت المشرق والغرب الأندلسي[١٢٢].

## خَاتِمَةٌ

وصفوة القول، أن المصطلحات الخاصة بالعتاد الحربي زمن بني مرين، قد جاءت وافرة ضمن المصادر، وهو ما يوحي بقوة وتنوع العتاد العسكري للدولة المرينية التي أولت عناية فائقة لصناعة معظم ما يلزمها لحشود الجند، من خلال إنشاء "دور الصنعة" أو "دور الإنشاء" المختصة في صناعة قطع الأسطول الحربي الذي صار يضاهي أسطول النصارى في الحوض المتوسطي، وانتشرت قطعه بمختلف الثغور المغربية، خاصة سبتة وطنجة وسلا ووهران وبجاية وقابس.

ونفس الاهتمام أبداه المرينيون لتوفير باقي أنواع العتاد الحربي لأجنادهم، حيث استجلبوا ما لزمهم من بلاد الأندلس التي برع أهلها في صنع السيوف البردليات المشهورة بجودتها واستعملوا البيضات أو الخوذات والأثواب البديعة المجلوبة من بلاد الشام والعراق.

أما الأسلحة الثقيلة من المجانيق والعرادات والدبابات وغيرها من آلات الحصار، فتبين من خلال المصطلحات الواردة، أن المرينيين قد طوروها واستعملوها ببراعة، وتكفي الإشارة إلى قصب السبق في استعمالهم للبارود، أو السلاح الناري في حروبهم قبل أوربا بعدة عقود، وحرصهم على استرجاع أمجاد الدولة المغربية زمن الموحدين وحضورها الوازن في الحوض المتوسطي.

وبالجملة، فإن العديد من القضايا التي تخص التاريخ العسكري المغربي خلال الفترة الوسيطية، لا تزال في حاجة إلى إعادة القراءة والتمحيص، ولعل ذلك لن يتم إلا بفقه المصطلح فهما وتحليلا، ومنها مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب خلال العصر الوسيط، لذلك نهيب بالباحثين توجيه عنايتهم للاهتمام بالمصطلح باعتباره مفتاحا لفهم العديد من قضايا التاريخ والتراث.

## الإحالات المرجعية:

(١) صنف ابن خلدون الحروب إلى أربعة أنواع: "اثنان حروب بغي وفتنة كالحرب بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة، واثنان حروب جهاد وعدل كحرب الدولة مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها"، انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، تصحيح وفهرسة أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦م، المجلد ١، ص.٢٨٧.

(٢) مجهول، **البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ق٣٢ (ضمن مجموع)، ص.٣٤.

(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، المجلد١، ص.٤٠٢.

(٤) **نفسه**، المجلد١، ص.٢٧٢.

(٥) **نفسه**، المجلد١، ص.٢٧٢.

(٦) ابن الحاج النميري، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م، ص.٢٩٧.

(٧) **نفسه**، ص.١٤٥.

(٨) البكري، **جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق الحجي علي عبد الرحمن، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨ص.١٤٥.

(٩) نسبة إلى **برديل**، "وهي آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والشرق"، وقد عرفت الأندلس وخاصةً إشبيلية بصناعة آلات الحرب "ويصنع بها ما يبهر العقول"، انظر: المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، حققه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، ص.١٩١. **الأندلس من نفح الطيب للمقري**، تقديم نجاح العطار، أعده للنشر: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠، ص.٣٧٦.

(١٠) وانظر نماذج من أنواع السيوف حسب شكل مقابضها عند: Contamine (Ph), **le combattant au moyen âge**, Paris, Sorbonne,1995,pp.15-23.

(١١) ابن هذيل، **حيلة الفرسان وشعار الشجعان**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص.٧٨.

(١٢) **نفسه**، ص. نفسها.

(١٣) العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ط١، ص.١١٠-١١١.

(١٤) **نفسه**، ص ص.١١٠-١١١.

(١٥) مجهول، **البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ق٣٢ (ضمن مجموع)، ص.١٨١.

(١٦) الأنصاري السبتي، **اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار**، حققه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٩م، ص.٥١-٥٢.

(١٧) النميري، **م س**، ص.٢٢٥.

(١٨) ابن هذيل، **م س**، ص.٨٨.

(١٩) ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص.٣٩٨-٣٩٩. ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص.٦، ص.٤٤٠.

(٢٠) الأنصاري السبتي، **م س**، ص ص.٥١-٥٢.

(٢١) العمري، **م س**، ص ص.١٤٧-١٤٨.

(٢٢) ابن هذيل، **م س**، ص.٧٧.

(٢٣) **نفسه**، ص.٧٤.

(٢٤) النميري، **م س**، ص ص.٢٦٥ -٢٧٣-٢٩٦-٣١١-٢٩٨.

(٢٥) **نفسه**، **م س**، ص.٢٩٥.

(٢٦) **نفسه**، ص.٢٩٦.

(٢٧) محمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٧، ص ٢٦٤.

(٢٨) **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، تحقيق ودراسة محمد العزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم ٢، ط١٤٢٢،١هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص.٢٣٦.

(٢٩) ابن خلدون، **العبر**، م س، ج٧، ص. ٢٤٨. الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، مراجعة: محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، منشورات وزارة الثقافة والاتصال،٢٠٠١ م، ج٤، ص.٤٠.

(٣٠) الناصري، **م س**، ج٤، ص.٤٠.

(٣١) النميري، **م س**، ص.٢٧٤.

(٣٢) **نفسه**، ص ص.٢٧٤-٢٧٥.

(٣٣) **نفسه**، ص.٢٧٤.

(٣٤) **نفسه**، ص.٢٩٦.

(٣٥) **نفسه**، ص.٢٨٨.

(٣٦) **نفسه**، ص.٢٩٦.

ويبدو أن استعمال **السلالم** في الحصار لتسلق الأسوار العالية، هي تقنية كانت سائدة خلال العصر الموحدي، فقد أمر عبد المومن أثناء حصار مراكش المرابطية سنة ٥٤١هـ "بعمل **السلالم** للسور، قسمها على القبائل فأحدقوا بالمدينة فدخلت هنتاتة من جهة باب دكالة ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين". انظر: ابن سماك العاملي، **الحلل الموشية في أخبار الدولة المراكشية**، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء، ١٩٧٩م، ص. ١٠٤.

(٣٧) النميري، **م س**، ص.٢٩٨.

(٣٨) **نفسه**، ص.٢٩٩.

(٣٩) ويعرف هذا القائد باسم "عثمان بن علي بن أحمد الرياحي"، انظر، **نفسه**، ص ص.٤١٥-٤١٩.

(٤٠) عن مقومات الجيش الموحدي، راجع: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص.٦٣٩-٦٤٠.

(٤١) النميري، **م س**، ص.٢٩٥.

(٤٢) ابن خلدون، **العبر**، م س، ج٧، ص.٢٤٨. الناصري، **م س**، ج٤، ص. ٣٩-٤٠.

(٤٣) الناصري، **م س**، ج٤، ص.٣٩.

(٤٤) النميري، **م س**، ص.٢٨٨.

(٤٥) **نفسه**، ص.٢٧٣.

(٤٦) **نفسه**، ص.٢٦٠.

(٤٧) الناصري، **م س**، ج٤، ص.٣٩، الهامش رقم:٤٢.

والجدير بالذكر أن **البارود** عند العرب، كان يعرف باسم "**النار الإغريقية**"، وعن العرب أخذها الإفرنج لتستعمل لأول مرة بأوربا في معركة (crecy-en-Pouthien)، سنة٧٤٧هـ/١٣٤٦م. انظر: أسعد داغر، **حضارة العرب، تاريخهم-علومهم-آدابهم-أخلاقهم-عاداتهم**، مطبعة هندية بالموسيكى، مصر١٣٣٢هـ/١٩١٨م، ص.٢٤١.

(٤٨) **المهاميز**، مفردها **مهماز** وهي الأداة التي تستحث بها المطايا على الإسراع في السير، ويستعملها الراكب على الفرس وغيره، وكان منها ما يصنع من الذهب أو الفضة أو من الحديد، وصناع وباعة المهاميز يعرفون بمصلح **المهامزيين**. انظر: محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص.٥٧.

(٤٩) العمري، **م س**، ج٤، ص.١٣٠.

(٥٠) ابن مرزوق، **م س**، ص.١٣٠.

(٥١) **نفسه**، ص.١٨٦-١٣٠-١٢٩.

(٥٢) الحسن الوزان، - الوزان (الحسن)، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد الأخضر ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج١، ص.٢٩٠.

(٥٣) **نفسه**، ج١، ص.٢٩٠.

(٥٤) **ملوطة**: قلنسوة من نوع خاص فاخر، كما يتضح من سياق الورود. وانظر أيضًا: النميري، **م س**، ص.٣٠٥-هامش المحقق.

(٥٥) **نفسه**، ص.٣٠٥.

(٥٦) **نفسه**، ص.٣٠٥.

(٥٧) **نفسه**.٢٢٣ -٢٢٥.

(٥٨) النميري، **م س**، ص.٣٠١.

(٥٩) **نفسه**، ص.٢٢٤.

(٦٠) المراكشي، **سيرة أجود الأنجاد في مراتب الجهاد**، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم ٥٩١٧، ص.٨١-٨٢. أيضًا: محمد حناوي، **النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط٣، ٢٠٠٢، ص.٢٧١.

(٦١) ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الأندلسي. ت. بعد ٧٦٣هـ): **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص.٨٧.

(٦٢) **نفسه**، ص. نفسها.

(٦٣) **نفسه**، ص. نفسها.

(٦٤) أبو حامد الغرناطي، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط١٤١٣،١هـ/١٩٩٣م، ص.٤١.

(٦٥) النميري، **م س**، ص.٣٠٥.

(٦٦) **نفسه**، ص.٣٥٢.

(٦٧) **والكشح**: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والكشحان جانبًا البطن من ظاهر وباطن، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣/٣٠٠٢م، المجلد:٧، ص.٦٦٨، مادة: كشح.

(٦٨) النميري، **م س**، ص.٣٠٤.

(٦٩) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١م، ج٥، ص.٢٠٣.

(٧٠) النميري، **م س**، ص.٢٤٩.

(٧١) الوزان، **م س**، ج١، ص.٢٩١.

(٧٢) **نفسه**، ج١، ص.٢٩١.

(٧٣) **نفسه**، ج١، ص.٢٨٧.

(٧٤) ابن خلدون، **المقدمة**، **م س**، المجلد١، ص.٢٧٣.

(٧٥) ابن سماك العاملي، **م س**، ص.١١٥.

(٧٦) الوزان، **م س**، ج١، ص.٢٨٨.

(٧٧) ابن خلدون، **المقدمة**، م س، المجلد ١، ص.٢٧٥.

(٧٨) النميري، **م س**، ص.٢٢٧.

(٧٩) **نفسه**، ص.٢٢٦-٢٢٧.

(٨٠) ابن خلدون، **المقدمة**، م س، المجلد ١، ص.٣٢١.

(٨١) العمري ابن فضل الله، **م س**، ج٤، ص.١٣٠.

(٨٢) ابن الحاج النميري، **م س**، ص.٢٢٣. الوزان، م س، ج١، ص.٢٨٨.

(٨٣) الوزان، **م س**، ج ١، ص.٢٨٨.

(٨٤) **نفسه**، ج ١، ص.٢٨٨.

(٨٥) ابن خلدون، **المقدمة**، م س، المجلد١، ص.٢٧٣.

(٨٦) **تاصوكايت** نشيد حربي زناتي كان أفراد الجيش يرددونه في ساحة المعركة، إذ يتقدم الجيوش شخصا (شاعرا) يتولى المبادرة بالإنشاد مستعملا آلة موسيقية خاصة، ويدعى هذا الإنشاد "**تاصوكايت**". انظر: **المقدمة**، المجلد:١، ص.٢٧٤. رضوان مبارك، **معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للنشر والتأليف والترجمة، مطابع سلا ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م، ج٦، ص.٢٠٦٦.

(٨٧) العمري، **م س**، ج٤، ص.١٣٣.

(٨٨) يبدو ذلك جليًا من خلال محتوى القبتان فكان في "القبة الأولى (...) مصحف عثمان ابن عفان (...) أما القبة الأخرى ففيها صحيح البخاري وصحيح مسلم، أحسن ما ألف في الحديث". انظر: ابن الحاج النميري، **م س**، ص.٢٢٥-٢٢٦.

(٨٩) ابن خلدون، **العبر**، م س، ج٧، ص.٣٥٧.

(٩٠) ابن الحاج النميري، **م س**، ص.٤٩٧.

(٩١) ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973م، ص.١٣٠.

(٩٢) ابن الحاج النميري، **م س**، ص.٤٩٨.

(٩٣) **نفسه**، ص.٤٩٨.

(٩٤) الوزان، **م س**، ج١، ص.٢٨٧.

(٩٥) تذكر المصادر أن "أساطيل أبي الحسن [كانت] نحو الستمائة **قطعة**، فغرقت كلها، ونجا هو على **لوح**، وهلك من كان معه من أعلام المغرب(...) وكان غرق الأسطول على ساحل تدلس بين بجاية والجزائر" سنة٧٤٩ هـ. انظر: ابن خلدون، **العبر**، م س، ج٧، ص.٣٦٥. الناصري، **م س**، ج٤، ص.١٦٠-١٦١.

(٩٦) محمد حناوي، **النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط٣، ٢٠٠٢، ص.٣٤١.

(٩٧) عبد الفتاح عبادة، **سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام**، مطبعة الهلال، مصر، ١٩١٣، ص.٣.

(٩٨) **نفسه**، ص. نفسها.

(٩٩) ابن الحاج النميري، **م س**، ص.٢٧٦.

(١٠٠) **نفسه**، ص.٣٥٤.

(١٠١) إبراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي**، إفريقيا الشرق، البيضاء، ١٩٩٦م، ص.١٨٥.

(١٠٢) عبد الفتاح عبادة، **م س**، ص.٧.

(١٠٣) محمد المنوني، **ورقات عن حضارة بني مرين**، منشورا كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٦م، ص.١١٠.

(١٠٤) ويمكن التمييز بين مصطلح **الطريدة** (جمع طرائد) الوارد عند النميري، **والطرادة** (جمع طرادات)، **والطرادة** سفينة حربية صغيرة الحجم، سريعة الجري، انظر: عبد الفتاح عبادة، **م س**، ص.٦.

(١٠٥) ابن الحاج النميري، **م س**، ص.٢٧٧.

(١٠٦) **نفسه**، ص.٢٧٧.

(١٠٧) مصطفى أبو ضيف، **تاريخ الغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري**، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥، ص.٤٢٢.

(١٠٨) دوزي (رينهارت)، **معجم القواميس العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، ط١، ١٤٠١/١٩٨١، المجلد:٣، ج، ص.١٣٧. ويبدو أن **الحراقات** هي من السفن الحربية التي استعملها العرب منذ فترات مبكرة من تاريخهم لأغراض متعددة منها نقل الخليفة المأمون العباسي (ت. ٢١٨هـ) لضيوفه عبر نهر دجلة "فكانت **الحراقات** المعدة لذلك ثلاثين ألفا". انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، **م س**، ج١، ص١٨٣. عبد الفتاح عبادة، **م س**، ص.٥.

(١٠٩) عبد الفتاح عبادة، **م س**، ص.٦.

(١١٠) **نفسه**، ص.٦.

(١١١) انظر: ابن الحاج النميري، **م س**، هامش المحقق رقم ٣٦٢، ص.٣٤١.

(١١٢) عبد الفتاح عبادة، **م س**، ص.٣٦-٣٧. أيضًا: مصطفى أبو ضيف، **م س**، ص.٤٢٢. أيضًا: أرشيبالد لويس، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة (دون تاريخ)، ص.٣٢٥. ويبدو أن هذا المصطلح قديم، فقد عرف في اللاتينية باسم: **chalandium** واسترجعه العرب عن طريق التعريب، فقالوا **شلندي**، وهي مراكب حربية لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الأهمية الشيني والحراقة، انظر: عبد الفتاح عبادة، **م س**، ص.٦.

(١١٣) **نفسه**، ص.٢٧١.

(١١٤) ابن خلدون، **العبر**، ج٧، ص.٣٦٥.

(١١٥) **نفسه**، ص.٢٦٦.

(١١٦) **نفسه**، ص.٢٧٣.

(١١٧) ابن الحاج النميري، **م س**، ص. ٢٧٢- ٢٧٣.

(١١٨) أورد ابن خلدون قائلاً: "**الملند** بتفخيم اللام منقولا من لغة الفرنجة (...) وإنما اختصت هذه المرتبة بملك إفريقية والمغرب، لأنهما جميعا على صفة البحر الرومي من جهة الجنوب"، انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، م س، المجلد١، ص.٢٦٦.

(١١٩) فقالوا ضمن أشعارهم: **ثلاثة ليس لها أمان *** البحر والسلطان والزمان.** المقري، نفح الطيب، م س، ج١، ص.٤٦.

(١٢٠) ابن الحاج النميري، **م س**، ص .٢٧٧-٣٤١-٢٧٠ المنوني، **ورقات**، م س، ص.١١٢.

(١٢١) **نفسه**، ص.٢٧٠.

(١٢٢) محمد المنوني، **ورقات**، م س، ص ص.١٠٨-١٠٩.